ندوة النوازل الفقهية عند المالكية: تأصيلا وتطبيقا

مؤسسة دار الحديث الحسنية

2 - 3 جمادى الثانية 1438هـ/ 1 - 2 مارس 2017م

د. أحمد الخاطب

عنوان المشـــاركة:

النوازل الفقهية وأهميتها التاريخية والحضارية: نماذج وقضايا من تاريخ المغرب.

ملخص المشاركة:

لعل من أهم خصائص الإنتاج الفقهي المالكي إيلاء عناية خاصة بالفقه العملي الذي أبرزه فقهاء المالكية في كتب النوازل، والفتاوى، والمسائل والأجوبة، والأحكام[1]. ولما كانت النوازل – بمختلف مرادفاتها- هي تلك الحوادث والوقائع اليومية التي تنزل بالناس، فيتجهون بها إلى الفقهاء للبحث عن الحلول الشرعية لها[2]، أو هي الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية[3]، فإنها تعبر عن حقيقة الارتباط العميق للفقه بالواقع، ومركزية الفقيه في المجتمع المسلم. ولما كان الواقع متغيرا بطبيعته، باعتباره نتاجا للتفاعل المستمر بين الإنسان ومحيطه عبر الزمان الذي لا يعرف الثبات، فقد جعل الفقهاء من فقه النوازل الآلية التشريعية الكفيلة بتلبية احتياجات الإنسان المسلم للشريعة بشكل دائم ومستمر مراعاة لأحواله الخاصة وضمانا لالتزاماته الشرعية.

ولذلك، يتسم فقه النوازل عند المالكية بجملة من الخصائص، من أهمها خاصية "الواقعية" أي الارتباط بالواقع وقضاياه التي وقعت

---

1 - ديباجة مؤتمر "فقه النوازل عند المالكية تأصيلا وتطبيقا" المنظمة من قبل مؤسسة دار الحديث الحسنية، 2-1 مارس 2017.

2 - الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس،منشورات كلية الشريعة بأكادير،1999،ص:53.

3 - عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، الدار البيضاء،1987،ص.94.

ونزلت بالفعل، مكرسة بذلك فلسفة الفقه المالكي المرتكزة على الواقعية؛ وخاصية "التجدد" التي تعكس ارتباط النوازل بحياة الناس المتغيرة باستمرار؛ وخاصية "المحلية" المتمثلة في مراعاة الطابع المحلي حيث لا تبقى النوازل الفقهية سابحة في المطلق كما هو الشأن في كتب الفقه العامة،بل تتحدد مسائلها في المكان والزمان والموضوع بحسب ما تأتي به الاسئلة التي تبنى عليها، وما تطرحه من مشاكل دينية واجتماعية واقتصادية[4]. بالإضافة إلى خصائص أخرى في المنهج والمضمون.

ولعل مما يتميز به الإنتاج الفقهي النوازلي المالكي أيضا التنوع والشمولية والموسوعية، حيث امتدت النوازل والفتاوى المعروضة على أنظار الفقهاء لتشمل قضايا ومستجدات ومسائل في عوالم مختلفة: السياسة، والدين، والمجتمع، والاقتصاد، والبيئة، والعمران...

واعتبارا لهذه الخصائص تشكل كتب النوازل ليس فقط ثروة فقهية وتشريعية يستفيد منها الفقيه أوالقاضي أوالمفتي في اجتهاداته أو أحكامه أودراساته الفقهية، بل تشكل أيضا مصدرا تاريخيا نفيسا زاخرا بالمعلومات والوثائق التي يستفيد منها المؤرخ والسوسيولوجي في أبحاثهم الاجتماعية والتاريخية والحضارية، وغيرهم من الدارسين في تخصصات إنسانية واجتماعية مختلفة. ولذلك، امتدت إليها أيدي الباحثين في مختلف العلوم الانسانية والاجتماعية لإغناء رصيدهم البحثي. وقد وجد المؤرخون وهو ينشدون التجديد المنهجي والموضوعاتي في البحث في كتب النوازل ضالتهم المعرفية، لما تزخر به من مادة علمية غزيرة كفيلة بتحقيق إضاءات علمية حول قضايا مختلفة تاريخية وحضارية مختلفة5.

---

4 - محمد حجي، نظرات في فقه النوازل، الدار البيضاء، 1999،ص.59-55.

5 -حول هذا الموضوع، انظر: محمد مزين، حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية، كتاب البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الاداب الرباط، سلسلة ندوات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة،البيضاء، 1989؛ عمر بنميرة، النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، منشورات كلية الاداب الرباط،

وسعيا إلى الالتزام بمطالب المؤتمر وخاصة المطلب الثاني المتمثل في الوقوف على التطور التاريخي للفقه النوازلي عند المالكية، نتوخى من خلال هذا البحث، بحول الله، الإسهام في تسليط الضوء على الفوائد التاريخية والحضارية لفقه النوزل، وذلك بالإجابة عن التساؤلات التالية: ما الفوائد التاريخية والحضارية لفقه النوازل بالغرب الاسلامي بصفة عامة والمغرب الاقصى بصفة خاصة؟ كيف السبيل لتشخيص تلك الفوائد والاستفادة منها؟ ما هي المناهج الكفيلة بتحقيق تلك الاستفادة المنشودة؟ ما القيمة المضافة التي يمكن أن يقدمها البحث التاريخي، بآلياته المنهجية والمفهومية والموضوعاتية المستجدة، في هذا المجال؟

نعتقد أن مسالك الإجابة عن هذه التساؤلات قد تختلف حسب المقاربات والتخصصات المختلفة (الفقه، التاريخ، علم الاجتماع...). ويمكن القول إن المنظور الحضاري للتاريخ المرتكز على المقاربة الشمولية للتاريخ كفيلة بأن تمكننا أكثر من الإجابة عن هذه التساؤلات والإشكالات إجابة تاريخية وحضارية. فالتاريخ ليس فقط تاريخ الوقائع السياسية والعسكرية، بل هو تاريخ المجتمع والدين والاقتصاد والثقافة والعقليات...إنه العمران البشري بمكوناته المادية والرمزية6. وكتب النوازل الفقهية مرآة صادقة لهذا العمران بمكوناته المختلفة.

لذلك، سنسعى إلى اعتماد هذه المقاربة الشمولية/الحضارية في معالجة الموضوع. لكن وبما أن الإطار التاريخي والمجالي الذي سنتحدث عنه أي الغرب الاسلامي بصفة عامة والمغرب الاقصى بصفة خاصة، فإن الضرورة المنهجية ستفرض علينا انتقاء بعض النماذج المهمة من النوازل أوالفتاوى ذات الأهمية التاريخية والحضارية في مجالات وسياقات تاريخية مختلفة (الوسيط والحديث والمعاصر)، بهدف إبراز الفوائد التاريخية والحضارية لفقه النوازل، والبرهنة على

سلسلة أطاريح رقم 67، مطبعة الامنية، الرباط،2013.

6 - ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،2001،ص.46.

استمرارية الجدوى من دراسة فقه النوازل في واقعنا المعاصرعلميا حضاريا، والتأكيد على الجدوى العلمية والحضارية لاعتماد المنهج في دراسة فقه النوازل.

ونعتزم تنويع محاور البحث لتشمل قضايا نوازلية مختلفة:

قضايا دينية ومذهبية: تعالج الاختلاف الديني والمذهبي في تاريخ المغرب والغرب الاسلامي.

قضايا اجتماعية: تعالج وضعية بعض الفئات الاجتماعية ، مكانة المرأة، وبعض العادات الاجتماعية .

قضايا اقتصادية: تعالج العلاقات التجارية للمغرب مع الغرب في سياقات تاريخية معينة.

قضايا سياسية: تعالج موقف الفقهاء من وضعية الحكم في المغرب في بعض السياقات التاريخي ، الموقف من بعض الأحداث التاريخية، الدفاع عن الوطن، العلاقات الخارجية مع الغرب.

قضايا في تاريخ العقليات: الموقف بعض العلوم، ومن الاختراعات الغربية، الموقف من الحضارة الغربية في تاريخ المغرب المعاصر...

ولكي تتأتى لنا هذه الإحاطة، سنعتمد بحول الله على نصوص نوازلية متنوعة من بيئات مختلفة(المغرب الأقصى وبعض أقطار الغرب الاسلامي) وعصور مختلفة (الوسيط، الحديث والمعاصر)، بالاضافة إلى بعض الدراسات الجادة في هذا الاتجاه.